

المنتوج العلمي للزوايا في منطقة القبائل ♦

أ.وردية قلاز



ج. مولود معمري، تيزي- وزو.

مقدمة: كانت منطقة القبائل ولا تزال مركز إشعاع العلم والمعرفة، ومنبعا ثريا لمختلف العلوم وبخاصة العلوم الإسلامية كالفقه والتصوف، وكانت مراكز التعليم بها من مساجد وزوايا أم المنطقة، وهي التي أطرت المجتمع القبائلي وسيرت شأنه العام، وكما مثلت أحد المعالم الرئيسية البارزة، والظواهر الدينية، الروحية، والاجتماعية، والسياسية الهامة في تاريخ المنطقة، فمن أي زاوية تناولناها وجدنا الكثير من الفوائد التي تساعدنا على فهم الكثير من الحقائق العلمية، وكما لعبت الزوايا دورا هاما في الحفاظ على هوية الشعب القبائلي، وهي جديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان، حيث تحظى بقدر لا بأس به من المداخلات في المناقشات العلمية في تاريخ الجزائر بصفة عامة، فقد كانت من المواضيع الملفتة للانتباه منذ بداية ظهورها، فكثرتها وامتدادها وانتشارها في المدن، والأرياف، والجلال الواسعة بالمنطقة، وإقبال الناس عليها لأخذ العلم من مشايخها، كل هذا إن دلّ على شيء، فإنّما دلّ على مكانتها في المجتمع، ويرجع الفضل في ذلك إلى شيوخها ومقدميها، ومريديها. كل هذه

♦. أعدت المحاضرة للملتقى المغاربي الأول في طبعته الخامسة حول (البعد الروحي في التراث الأمازيغي- بلاد القبائل (الزوايا) أنموذج-بدار الثقافة مولود معمري، ولاية تيزي-وزو، يومي 09 و10 أبريل 2016م، تحت شعار: الخصوصية اللغوية والامتزاج الحضاري الإسلامي وجهان لعملة واحدة هي: وحدة الأمة الجزائرية.



الآراء دارت، ولا زالت تدور حول موضوع الزوايا، ولذلك كان من الأهمية
بمكان أن تحظى هذه الظاهرة بالدراسة، والتحليل وبخاصة أن الدراسات
العلمية والأكاديمية حولها قليلة جدا.

تزخر منطقة القبائل بزوايا كثيرة ومتنوعة عرفت تفوقاً في اللغة
والخط، والنحو، والفقه، ونشاط ثقافي هائل، وحركة علمية ضمت في كنفها
طائفة أفذاذ كانوا ولا يزالون رجال فكر، وأدب، وفن، وثقافة فليست كباقي
المناطق التي يطلق عليها اسم الزوايا كما يراها البعض؛ بل هي مدارس،
ومعاهد علمية أسست لغرض تعليم القرآن الكريم، وما إلى ذلك من العلوم
المختلفة الأخرى؛ لعل ما جعل هذه الأخيرة تتميز بالمنتوج العلمي الوفير
والضخم؛ نظراً لاختيارها للمشايخ الأكفاء، واستقامتهم في السلوك
والأخلاق وسنحاول أن نبين ذلك من خلال البحث، وبالإجابة عن إشكالية
هي: ما هي السمة العلمية التي تمتاز بها الزوايا بمنطقة القبائل؟ وفيه
يكمن منتجها العلمي هذا، والذي جعلها مركز إشعاع للمعرفة؟

تحتل الزوايا بمنطقة القبائل الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية
التثقيف لأبناء الشعب من تحفيظ للقرآن، تدريس فنون الفقه، القراءات
القرآنية، مبادئ علم الفلك، والعقائد، وقواعد النحو والصرف، وفنون
النطق، بلاغة، وعروض، والفرائض، والحساب، والجغرافيا، والمقامات
والتاريخ الإسلامي، والسير، ويعتبر شيخ الزاوية كمسؤول عن النظر في
ما ينبغي اقتناؤه من كتب، وتكليف الطلبة بمطالعتها وبخاصة غير المتدولة
منها والقيمة النادرة، والتي بها تنفتح أبصارهم على معارف جديدة؛¹ بالتالي
يجد الطلبة فيها رغبة وقريحة تدعوهم لقراءتها، والبحث عنها من غير إلزام
أو فرض.

1- إصلاح الزوايا بمنطقة القبائل: تمّ البحث وإعادة النظر في أمر
زوايا المنطقة منذ أمدٍ طويل في فترة وجود الاستعمار في البلاد وبالضبط



في الفترة الممتدة من 1920م/1945م وهي فترة الحرب العالمية الثانية أين عرفت استدمارا كبيرا كونها حوت الثّورة والثّوار، ومختلف المقاومات والانتفاضات الشعبيّة بالمنطقة، ويقول الأستاذ باعزیز بن عمر في ذلك: "ومن حسن حظّنا أن سرت هذه الفكرة، فكرة إصلاح التّعليم العربي إلى الجزائر، وصوّبت سهامها إلى هذه الزّوايا بصفتها معاهد علميّة، ومدارس نظاميّة قديمة قد طرأ عليها الاحتلال والتّغيير في نظامها، ما جعل التّعليم فيها عقيما، فكانت في أشدّ الحاجة إلى إدخال الإصلاح فيها"² ومن مظاهر الإصلاح على مستوى الزّوايا بالمنطقة في زمن مضى كونها قامت بإرسال بعثات علميّة، وعلى نفقات الزّوايا إلى معهد ابن باديس بقسنطينة، وإلى الزيتونيّة حيث يجد الطّلبة نظاما تعليميا أرقى من نظام الزّاوية.

أدّت إذا زوايا منطقة القبائل خدمة جدّ هامة في نشر التّعليم على أوسع نطاق، فمنها تخرّج الكثير من العلماء ممّن كانوا فقهاء وعلماء في العلوم العقليّة والنقلية، ولاتزال تدلّنا على رجال فطاحل أفذاذ، وعن دورها التّعليمي، يقول أحد الكتّاب الجزائريين "لبعض الطّرق الصّوفيّة بقطرنا هذا مزية تاريخيّة لا يستطيع أن ينكرها حتّى المكابر، تلك هي أنّها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظّلمات، وعمل رجالها العاملون الأوّلون على تأسيس المؤسّسات القرآنيّة يرجعون فيها الضّالين إلى سواء السّبيل، ويقومون بتعليم الناشئين، وبث العلم في صدور الرّجال، ولو لا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها، والتي نقف أمامها اليوم موقف المعترف المعجب لمّا كنّا نجد الآن في بلادنا أثرا للعربيّة، ولا لعلوم الدّين."³ حافظت زوايا المنطقة على اللّغة العربيّة التي حاول المستعمر طمسها، والقضاء عليها ومس هويّة شعبها وشخصيّته.

2- أنواع الزّوايا بمنطقة القبائل: تعدّدت زوايا منطقة القبائل،

وتوصف أغليبيّتها بالعلميّة وهي:

2. 1- زوايا المشايخ: يعتبر هذا النوع من الزوايا كملكية خاصة

لشيخ فقيه يتصرف بها كما يشاء، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب طريقة، ويعرف بشيخ الطريقة. علماً أنّ الطريقة المنتشرة في منطقة القبائل هي الطريقة الرحمانية، وهذا الشيخ يكون له أتباع ومريدون يسمون الإخوان،⁴ ومثل هذا النوع قليل في المنطقة.

2. 2- زوايا المرابطين: وهي ملكية جماعية، والمرابطون هم أحفاد

المؤسس الأول للزاوية يقصدها طلبة العلم من الفقراء، وهذه ليس لها طريقة صوفية، ولا مريدون كزوايا المشايخ.

2. 3- زوايا الطلبة: وهذا النموذج الوحيد من الزوايا نجده في زاوية

سيدي عبد الرحمن اليلولي التي تقع في عرش إيلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي-وزو أسست عام 1635م، هذه الزاوية تختلف عما سبقها حيث يتمتع الطلبة فيها بالاستقلال التام في تسيير شؤون مؤسساتهم، ولا يتدخل أحد فيهم؛ كون الطلبة وحدهم هم المسؤولون عن تدبير شؤونها داخليا، وخارجيا، وعلميا، واقتصاديا، والزاوية بهذا الشكل تكون بعيدة كل البعد عن أي نوع من الضغوطات، أو التدخلات، وتسير من طرف طلبتها ولا تخضع لشيخ، أو مرابط،⁵ والشئ الوحيد الذي يخضع له الجميع، ويمتثلون له، ولا يخالفونه إنما هو قانون الزاوية، أو ما يسمى باللائحة الداخلية للزاوية.

2. 4- زوايا العلم: وهي تلك الزوايا التي أسست لممارسة النشاط

التعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم الشرعية، واللغوية، والتاريخية، والفلسفية، ونشر القيم والفضائل الإسلامية، وهنا فالتعليم وإن كان بسيطا في هذه الزوايا ومقصورا على الدين والأخلاق واللغة العربية فإن له أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم بالمنطقة، وتبقى التربية الأرضية الأساس للتعليم والسلوك القويم لأهلها، فحرص شيوخ زوايا المنطقة كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر



من التّعليم بأقوالهم، وكانت هذه الأخيرة بمثابة مخازن للمخطوطات في مختلف العلوم والتي كانت تحفظ في مراكز خاصّة، أو ما يسمى بالخزائن الشّعبية باعتبارها أولى المراكز الثقافيّة في المنطقة. كما كان للمرأة في هذا النوع من الزوايا نصيب في التّعليم، وإخراجها من الجهل الذي كانت تعيشه، إذ هي نصف المجتمع، والمربي الأوّل للأجيال الصّاعدة، وذلك يساعد كثيرا على تطبيق تحقيق مراد الزوايا في نشر العلم.

3- المنهج العلمي والتّعليمي للزوايا بمنطقة القبائل: يظهر أكثر في

ما قدّمته زوايا الطريقة الرّحمانيّة، والمنسوبة إلى العالم الجزائري الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن القشطولي الجرجري الإدريسي الحسن الأزهري الذي ولد في قرية بعلاوة من قبيلة آيث إسماعيل بـجبال جرجرة بالجزائر.⁶ يتمثّل منهج هذه الطريقة في التّطبيق العلمي للشرع قولا، وعملا، وأخلاقا، وذلك بإصلاح ظاهرة السّالك وباطنه بصحبة الشّيخ الوارث المربّي الذي لا يكتفي بتعليم موريديه؛ إنّما يأخذ بيده لتطبيق أحكام الشرع عملا ويثني عليه إذا أحسن، ينبهه إذا زلّ، يتفقّده إذا غاب، ويذكّره إذا نسي، ويزكي قلبه إذا نسي.

كان للطريقة الرّحمانيّة دور هام في نشر تعاليم الدّين ونشر ثقافة الإسلام، والحفاظ على مبادئ القرآن، قصد الحفاظ على مقوّمات الشّخصيات بالمنطقة طيلة عقود طويلة من الزّمن، بعدما حاول المستعمر أن يثير الفتنة في المنطقة، ويولع سكانها بلغته، وتحويل الزوايا لكنائس، ومنع تعليم العربيّة كونها وعاء الدّين، ووسيلة لفهم الإسلام لتغريب سكانها وتمسيحهم تمهيدا لإدماجهم؛ لكن التّعليم في زوايا المنطقة وغيرها من المؤسّسات الأخرى من مساجد ومعمرات، وكتاتيب حوت على الوعي الفكريّ، ووقفت له بالمرصاد.

إنّ البرامج والطرائق المطبّقة في التّعليم والتّدرّيس المتّبعة في زوايا منطقة القبائل ليس لها في مرحلة الدّراسة مناهج منظّمة من ناحية الكتب والامتحانات، وتوزيع الطّلاب على مستويات الدّراسة حسب أعمارهم ومستواهم العلمي، والتّفنّيش، والنّظم التّعليميّة، وإنّما كان التّعليم يسير فيها بطريقة تقليديّة بحيث كان الطّلبة يتابعون الدّراسة لعدد من السّنين قد تقصر أو تطول، ويدرسون كتاباً أو كتابين في الفقه المالكي، وغالباً ما يكون شرح الدّردير، وسيدي خليل بأجزائه الأربعة يكرّرونها عدّة مرات في عدد من السّنّوات، بالإضافة إلى كتاب أو كتابين في البلاغة بعد حفظ القرآن الكريم كلّهُ حفظاً جيّداً،⁷ وهذا قديماً أما حديثاً فنجد التّعليم في هذه الزّوايا لم يزل على أسلوبه فيشبه حال معاهد التّعليم العربيّ من الابتداء بحفظ القرآن، وشتّى المتون، والانتقال إلى دراسة الفقه، والنّحو، والصّرف، فإنّ مناهج هذا النّوع من التّعليم بقيت على حالها منذ سنين دون أن يدخل عليها تغيير يذكر، ويستثنى في ذلك زاوية سيدي عبد الرّحمن اليلولي كانت هذه الأخيرة على شكل من التّنظيم في برامجها الدّراسيّة.

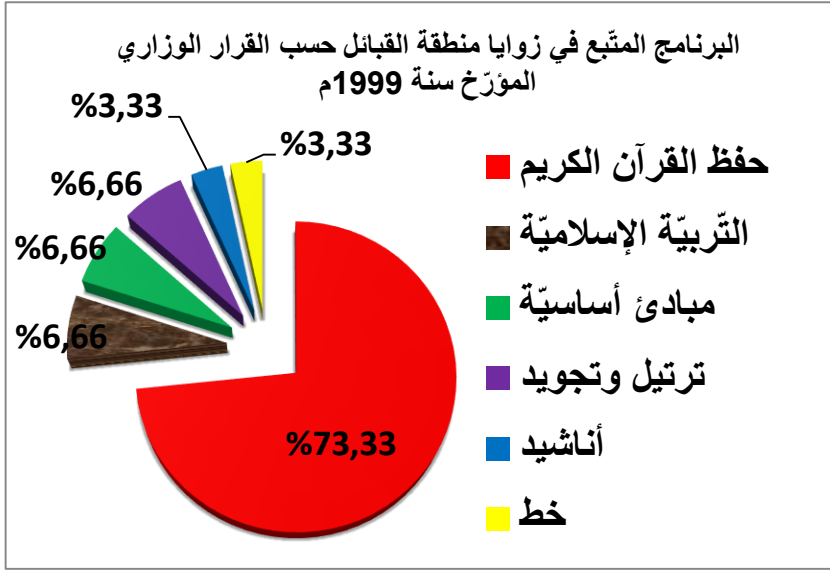
4- طرائق التّدرّيس المنتشرة في زوايا منطقة القبائل: تعتمد معظمها على طريقة الحفظ والتّلقين أو طريقة المادة الّتي تعتمد على الإلقاء والإملاء من جانب المعلّم أو الشّيخ، وعلى الطّالب الاستماع والحفظ، ويسجّل هذا كموقف سلبي على المعلّم كونه هو الّذي يعدّ كل شيء من شرح، وتحليل، والمتعلّم يستقبل المعلومات ويتسلّم، وكلّما وصل طالب إلى درجة معيّنة من العلم يُجازى ويتولّى تدرّيس وتعليم من هم أقلّ منه مستوى، وعلى شيوخ الزّوايا بالمنطقة تولّي ما ينبغي اقتناؤه من كتب، وتكليف الطلبة بمطالعتها، وبخاصّة غير المتداولة من كتب تاريخ، وجغرافيا، ومقامات، وسير الملوك للاحتذاء بهم، وما شابه ذلك من متون نادرة، وفيها يجد الطّلبة رغبة تامّة وقويّة لقراءة هذه الكتب والبحث عنها للانتفاع بها.⁸ أمّا بالنّسبة



لبرامج التّعليم القرآني في الزّوايا الحاليّة والمدارس القرآنيّة بالرجوع إلى القرار الوزاري المؤرّخ مؤخرًا في 1999/10/01م تحت رقم 232 ينصّ على وحدات معيّنة كما في الجدول:⁹

الوحدة المدرّسة	عدد السّاعات في الأسبوع
حفظ القرآن الكريم	22 ساعة في الأسبوع
التّربيّة الإسلاميّة	ساعتان (2) في الأسبوع
المبادئ الأساسيّة في العادات	ساعتان (2) في الأسبوع
التّرتيل والتّجويد	ساعتان (2) في الأسبوع
الأناشيد الوطنيّة والدينيّة	ساعة واحدة في الأسبوع
الخط	ساعة واحدة في الأسبوع
المجموع	30 ساعة في الأسبوع

يبلغ عدد السّاعات المخصّصة لحفظ القرآن الكريم أكثر السّاعات في الأسبوع مقارنة بالوحدات الأخرى، ولما نأتي لتمثيل نسبة كل وحدة مدروسة في الأسبوع سنتحصّل على النّسب كما في الشّكل البياني:



أسهمت زوايا منطقة القبائل بقسط وفير من مجهوداتها العلمية والعملية، وكفاءاتها المختلفة في دفع عجلة التعليم والتربية إلى الأمام بتعزيز مبادئ الدين الإسلامي، وترسيخ قواعد اللغة العربية، وفصاحتها وما ينبثق منها من علوم غزيرة ومختلفة.

إنّ الحديث عن المنتج العلمي للزوايا بمنطقة القبائل لا يخفى علينا أبداً الحديث عن منطقة القبائل العريقة بجاية، والتي هي مصدر النهضة العلمية في العصر الوسيط؛ بحيث كانت بجاية في تلك الفترة همزة وصل بين الأندلس والشرق الأوسط، وبذلك كانت من الناحية العلمية والثقافية ذات شهرة خاصة ومن علماء هذه المنطقة الذين أظهروا تفوقاً في اللغة والخط، والنحو، والفقه ابن المعطي والشّيوخ أعراب صاحب الزاوية المشهورة في ناحية الأربعاء بني إراتن، وممن تعلموا في هذه الزاوية العلامة الشيخ عبد الرحمن القشطولي الأزهري الزواوي فيها أخذ القرآن،



ومبادئ العربية والفقه، وعمل على نشر الطريقة الرحمانية في الجزائر والسودان.¹⁰ وقد أشار حسن الوزان لذلك أثناء حديثه عن منطقة بجاية فقال بأن بها جوامع كافية، ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه، والعلوم بالإضافة إلى زوايا المتصوفة.¹¹ تعرف الزوايا في بداية أمرها بمنطقة بجاية مرادفة للرابطة، والتي شاع انتشارها في المشرق؛ لكن سرعان ما أخذت في دورها التعليمي، وبعدها ينهي الطالب تعلمه في الكتاتيب ينتقل إلى مرحلة أعلى مستوى، وهي مرحلة التعليم في الزاوية على أيدي فقهاء ومشايخ كبار.

اعتبرت الزاوية كمرحلة وسط ما بين الكتاب الذي هو كمدرسة ابتدائية، والزوايا التي هي معهد ثانوي فقد أصبحت بديلا في وقتها أنذاك إلى حد كبير عن المساجد الجامعة، وإلى جانبها هناك زوايا أخرى لا تقل عنها شأنًا انتشرت في قرى بجاية أسهمت هي الأخرى في نشر التعليم بمختلف أطواره وسجل عن هذا تأثير في التقليل من الفوارق التعليمية بين سكان الريف والمدينة.

5- أشهر الزوايا العلمية بمنطقة بجاية: ومن أشهر زوايا منطقة

بجاية التي مارست نشاطها العلمي والتعليمي نجد:¹²

• زاوية الشيخ أحمد ابن إدريس البجائي: توفي بعد سنة

(760/1359م) اختار هذا الأخير التصوف والخلة، فأسس زاوية خاصة

به في حدود سنة (760/1359م) بقربة أيلولة ببجاية حيث اشتهرت

بنشرها للتعليم، ومناهج التصوف، ولا يزال معهده هذا يحمل اسمه بالقبائل

الكبرى قرب معهد الشيخ عبد الرحمن اليلولي.

• زاوية الشيخ الحاج حساين: بسيدي عيش ببجاية تأسست سنة

(770/1368م).



• **زاوية الشيخ يحيى العيدلي:** تقع هذه الزاوية في قرية تامقرة ببني عيدل، وتنسب لمؤسسها الشيخ يحيى العيدلي المتوفى سنة (1476/881م)، الذي تخرّج على يد علماء بجاية، وكانت تعج بفطاحل العلماء.

تخرّج من هذه الزاوية أو المؤسسة العلميّة الكثير من الطّلبة المشهورين كالشيخ أحمد زروق البرنسي، والذي أصبح في ما بعد أستاذا مدرّسا بها. كما ألف خلال هذه الفترة كتباً عديدة منها: شرحه الفقهي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومن طلابها أيضاً الشيخ عبد الرّحمان الصّباغ صاحب شرح الوغليسيّة في الفقه، وشرح البردة للبوصيري، والشيخ أحمد ابن يوسف الملياني، والشيخ أحمد بن يحيى مؤسس زاوية أمالو، والشيخ بهلول بن عاصم، والشيخ الخروبي، والشيخ بدير بن صالح، والشيخ إبراهيم بن عمر، والشيخ أحمد بن عبد الرّحمان جد عائلة المقراني.

وتزايدت شهرة هذه الزاوية بعد أن اهتمّت بتدريس مختلف العلوم الدّينيّة من تحفيظ للقرآن الكريم والقراءات السّبع، وعلوم الحديث، وتدريس الفقه المالكي إلى جانب اهتمامها بعلوم اللّغة من نحو وصرف وبلاغة وهذا قديماً. أما حالياً وبعد تجديد بناء الزاوية وإعادة فتحها عام 1937م قدّم رجال عظماء الكثير من المنتج العلمي من هؤلاء نجد: ¹³الشيخ طاهر أيت علجت وهو ابن المنطقة، المرحوم العلّامة النّابغة الوزير السابق مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله، الدكتور محمد الشريف قاهر، العقيد الطاهر زقرور الشيخ أولحي جعفر المعروف بـ: أبو عبد السلام المفتي الجزائري المعروف في الأوساط الجزائريّة.



• **زاوية محمد التواتي:** في القرن (9هـ-15م) وتنسب للولي الصالح والعالم محمد التواتي، واشتهر هذا الأخير بفتواه، وهو معاصر للشيخ يحيى العيدلي اشتهرت زاويته بنشر الثقافة والتعليم الديني وأخرجت أجيال من العلماء والمتصوفة كان لها أوقاف كثيرة ساعدتها على مواصلة نشاطها ومسيرتها العلمية.

• **زاوية الشيخ سعيد بصدوق:** في القرن (9هـ-15م).

• **زاوية الشيخ أحمد بن يحيى بأمالو:** تأسست في القرن 9هـ من قبل الشيخ أحمد بن يحيى الذي كان مدرّسا بها وهو أحد طلاب الشيخ يحيى العيدلي.

تعتبر هذه الزوايا بمثابة مخازن، ودواوين للكتب، والمخطوطات في مختلف العلوم كعلوم القرآن والتفسير، وفي جوامع الحديث، وفي كتب السيرة النبوية، في مناقب الصالحين والمتصوفة، هذا بفضل اهتمام شيوخها بالعلم والنسخ عن هذه الكتب، والنقل والتأليف. أسهمت زوايا المجتمع البجائي في نشر التعليم وتعميمه لدى شرائح المجتمع وأسهمت في الحفاظ على مقومات الفكر الصوفي على الرغم من أن بدايتها لم ترق إلى مستوى المسجد في ميدان التعليم؛ إلا أنها نافسته في ذلك، وجلبت أقطابا من مختلف حواضر المغرب الإسلامي.

6- العلامة أبو زكرياء يحيى الزواوي: هو الإمام الصوفي المالكي الزواوي الحسني الغديري القلعي البجائي، ولمعرفة هذه الشخصية تجدر بنا الإشارة إلى الاطلاع على البيئة التي نشأ فيها، والمجتمع الذي ترعرع فيه، والزمن الذي كبر فيه، وهي مقاربات ثلاث اعتمدها ابن خلدون في تعريف الرجال العظماء حيث قال: "الإنسان ابن بيئته، وابن مجتمعه، وابن زمانه" فالعلامة الزواوي الذي نشأ في بيئة علمية متنورة مالكية



المذهب، أما المجتمع الذي تربى فيه هو مجتمع زواوة وهي قبيلة بجبال جرجرة يعرف عنها سعة العلم والثقافة والتّمكن في الدّين على المذهب المالكي، وقد توارث أجداده حب العلم والمعرفة. أما الزّمن الذي ترعرع فيه فيعدّ من أهم الأزمان من حيث الانتاج الفكريّ في مختلف العلوم.¹⁴

6.1- أشهر شيوخه وعلماء عصره: من شيوخه نجد: الشّيخ

الصالح أبي عبد العزيز بن الخراط والفقيه أبي طاهر اسماعيل بن مكي بن عوف الزّهري روى عن كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس والقاضي أبي سعيد مخلوف بن جارة روى عنه كتب كثيرة إجازة وسمها منها كتاب المصابيح، الحافظ أبي الطاهر السلفي أخذ عنه كتاب إعجاز القرآن للخطابي، وأبي عبد الله بن بكر الكركني قرأ عليه المذهب المالكي رواية ودراية، كما أخذ عن الفقيهين أبي عبد الله، وأبي العباس الحضرميين روى عنهما كتاب الشّهاب... الخ. أمّا عن علماء عصره نجد: أبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري المتوفى سنة 620هـ وعرف بابن الهيثم، وأبي محمّد عبد الحق بن عبد الرّحمان الأزدي المتوفى سنة 582هـ نزيل بجاية وعالم عصره، أخذ عنه جلّ العلماء، وأبي عبد الله محمّد بن عبد الله المعارفي القلعي المتوفى عام 611هـ.

6.2- أهم المصنّفات العلميّة والفكريّة التي كانت متداولة في

وقته: كتاب الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني، وكتاب التّهذيب للبرادعي، والمدوّنة الكبرى للإمام سحنون عبد السّلام بن سعيد، وصحيح البخاري لأبي عبد الله محمّد بن اسماعيل البخاري، وصحيح مسلم لابن الحاج القشيري النّيسابوري، ولا يستبعد أنّه قد أخذ من الكتب المصنّفات السّبعة للصّحّاحين، والموطأ والجامع التّرميذي، وسنن أبي داود وسنن سليمان بن الأشعب، وسنن النّسائي، وسنن ابن ماجة، وكتاب الفقه الجامع لأبي



عيسى محمّد ابن عيسى الضّحّاك، وكتاب الشّفاء للقاضي عياض اليعسبي، وكتاب مختصر لابن الحاجب، ومختصر خليل،¹⁵ وغيرها من المصنّفات الأخرى التي كانت تتداول في مراكز العلم في زمن الشّيخ العلامة أبي يحيى الزّواوي.

7-المنتوج العلمي لزوايا منطقة القبائل حديثاً: سنتحدّث هنا عن

الزّوايا التي بقيت تنشط وبكثرة منها:

7.1- زاوية سيدي علي أويحيى: تقع هذه الزّاوية بعرش آيث

كوفي بمنطقة بوغني بولاية تيزي-وزو وهي تابعة للطريقة الرّحمانيّة مؤسّسها هو: سيدي علي أويحيى الذي حلّ بالمنطقة منذ زمن بعيد في القرن (9/15م) وهي لتظلّ واقفة وصامدة حتّى اليوم، ونشاطها ليس مقتصرًا على سكان المنطقة فحسب بل تستقطب الطلبة من جميع نواحي البلاد وولايات الوطن من قسنطينة، سطيف، باتنة، البويرة سيدي عيش والأخضريّة، ويصل عدد طلابها إلى حوالي مئة طالب يتمتّعون بالنّظام الدّاخلي، وتقام دورات صيفيّة للإناث أغلبيّتهنّ متخرّجات جامعيّات، أو لازلن طالبات ولم يتخرّجن بعد، وتوصف هذه الأخيرة بقيمة علميّة وتحتوي على أفذاذ حملوا مشعل سيدي علي أويحيى في التّعليم والتّكوين والتّعبئة الرّوحيّة والنّفسيّة، ما جعل هذه الزّاوية تتمتّع بهذه الصّفة لما لها من علاقة وطيدة بجمعيّة العلماء المسلمين، وهذا ما زادها مكانة علميّة، وأهميّة وشيوخ أجلاء عملوا في الزّاوية، ومن الشّيوخ المتوافدين عليها نجد:¹⁶ الشّيخ الفاضل محمد تواتي من سيدي موسى، الشّيخ محمد وعلي من فريقات، الشّيخ أبو يعلي الزّواوي، الشّيخ علي أولخيار عمدة جمعيّة العلماء في المنطقة، والشّيخ علي شاب الله من ناحيّة بني كوفي خريج جامع الرّيتونيّة.



تدرّس في هذه الزاوية إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم الذي هو جوهر العمل التربوي فيها مجموعة من المصنّفات هي:¹⁷

- رسالة ابن زيد القيرواني في الفقه؛

- ابن عاشر في الفقه؛

- ألفيّة ابن مالك في القواعد؛

- مصنّف السنوسي في علم الفلك؛

- السيرة النبويّة.

7.2- الزاوية العموريّة بالبويرة: من الزوايا المشهورة، وتُعدّ أيضا

"قلعة من قلاع العلم والجهاد يرجع تأسيسها إلى عام 1859م على يد الشيخ سيدي بيني وسفين الحاج حماني؛ وذلك بأمر من شيخ هو أستاذه في الطريقة الصوفيّة الشيخ سيدي بلعموري"¹⁸ والتي لتزال تنشط حتّى اليوم.

7.3- النشاطات العلميّة: وتتمثّل في:

● **إصدار مجلات:** وذلك لغرض التعريف بالزاوية التي تصدر

المجلة، وكذا زيادة استقطاب الطلبة ومن هذه المجلات التي صدرت حديثا نذكر:

- مجلّة أصدرتها زاوية سيدي بلعموري بالبويرة بعنوان: الصّراط

المستقيم عام 2013م؛

- مجلّة أصدرتها تنسيقية زوايا ولاية تيزي-وزو بعنوان: دور الطريقة

الرّحمانيّة في التّعبئة وقيادة المقاومة الشّعبية بمنطقة القبائل عام 2014م.

● **المكتبات العلميّة:** تحوي كل من زاوية سيدي بلعموري بالبويرة،

وتنسيقية زوايا ولاية تيزي-وزو وأيضا زاوية سيدي على أويحيى ببوغني

مكتبات فيها مجموع كتب ومخطوطات حيث يُستقبل الطّلبة من جميع

النّواحي للمطالعة والقراءة، وكما تعمل هذه المكتبات على حماية

الموروث الثقافي.



• **دورات صيفية للإناث:** مثلما نجد ذلك بزواوية سيدي علي أويحيى ببوغني لتعليم المرأة وتنقيفها وتعزيز مكانتها في المجتمع.

• **المسابقات الدينية:** تقيم زوايا منطقة القبائل مسابقات دينية محلية، ووطنية، ودولية في مناسبات معينة، وكذا إشراك طلبتها في مسابقة فرسان القرآن التي تقام في شهر رمضان من كل سنة.

• **خطب منبرية:** تقام في زوايا المنطقة خطب الجمعة، وكذا خطب في الأعياد الدينية من كل سنة والأعياد الوطنية.

• **الإعداد والمشاركة في الملتقيات الوطنية والدينية:** ونذكر من بين الملتقيات التي أقيمت حديثا بإشراك الطلية الباحثين والمشايخ الأعلام مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على سبيل المثال لا الحصر:

- الملتقى الوطني حول: دور الطريقة الرحمانية في تعبئة وقيادة المقاومة الشعبية بمنطقة القبائل يومي: 15 و16 ديسمبر 2004م أقامته تنسيقية زوايا ولاية تيزي-وزو بالتعاون مع المركز الثقافي الإسلامي، فرع تيزي-وزو؛

- الملتقى الدولي حول: العالم الصوفي يحيى الزواوي المتوفى سنة 1215م، يومي: 7 و8 أكتوبر 2015م ببجاية وبرج بعيريريج؛

- الملتقى الوطني حول: دور الطريقة الرحمانية في ترسيخ القيم الإسلامية والوطنية يومي: 09-10 مارس 2015م بدار الثقافة لولاية تيزي-وزو؛

- الملتقى الوطني لولاية بجاية حول: الطريقة الرحمانية أصالة وتواصل يومي: 20-21 مارس 2015م بدار الثقافة.

خاتمة: تبقى الزوايا في منطقة القبائل ذات تربية روحية ووجدانية بالنسبة للمتعلّم والأمي، والرجل والمرأة، البالغ، والقاصر، الشيخ والمريد، وتربية هذه الزوايا في الأساس انقياد واعتقاد، خضوع ونية. كما اضطلعت بأهم وظيفة هي وظيفة التربية والتعليم، ولعبت دور المركز العلمي الذي كان له الأثر الأكبر على مستوى الحركة العلمية والإشعاعية التي شهدتها



المنطقة، وكانت ولا زالت كإطار جديد ينافس المدارس الحضارية، والحفاظ على مقومات الأمة بكل أبعادها؛ ولعل أكثر ما يؤكّد الدور الريادي لهذه الزوايا في منطقة القبائل في المجال العلمي هو احتواؤها على مكتبات، وأقدم المعالم الثقافية بما تحويه من مطبوعات ومخطوطات نادرة جدا، وأخرى متنوعة في علوم القرآن والتفسير، والفقه، والسيرة، والتراجم والمعاجم، والحديث، والأدب، وعلوم الفقه، والجغرافيا، وحتى العلوم الدقيقة والثقافة العامة، وبالتالي أسهمت زوايا المنطقة علميا في ما يلي:

- تحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار، وكذلك الكبار مما ساعد على محو الأمية، وحماية القرآن من النسيان والضياع والاندثار؛
 - نشر العلم والمعرفة في أوسع مجالاته، واستطاعت الزوايا أن تصنع أجيالا من العلماء الكبار والفقهاء، والقضاة، وكبار المفكرين؛
 - احتواؤها على مخازن ودواوين للكتب والمحفوظات العلمية في مختلف أنواع العلوم والفنون والمعارف، ويرجع ذلك لاهتمام شيوخ وطلاب المنطقة بالعلم والتعلم، والنقل والنسخ للكتب، والتأليف والجمع، والشراء وما إلى ذلك؛
 - تعليم المرأة وإعطائها القدر الكافي ومكانة في نشاط الزاوية على اعتبار أنّ تربيّة المرأة من الوجهة الروحية والدينية والخلقية ستقدم دعما كبيرا لما تحمله من مكانة في المحيط الأسري والمجتمعي؛
 - اشراكها للمدرسة في تنمية الحياة الفكرية والعلمية والثقافية، ونشر العلم على العموم؛
 - تمتّعها ببرامج تعليمية والتّعليم المجاني، وإرسالها للطلبة في بعثات علمية عبر جهات عديدة من الوطن.
- الهوامش:**



- 1- يسلي مقران، الحركة الدينيّة والإصلاحية في منطقة القبائل 1920م/1945م، ط2، الجزائر: 2012م، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص75.
- 2- باعزیز بن عمر، "الكلام عن إصلاح التّعليم بهذه الزّوايا..." مجلة الشّهاب، ج2، ع2، دب: 1933م، دن، ص88.
- 3- نفلا عن/يسلي مقران، الحركة الدينيّة والإصلاحية في منطقة القبائل 1920م/1945م، ص100.
- 4- طيّب جاب الله "دور الطّرق الصّوفيّة والزّوايا في المجتمع الجزائري" مجلة معارف علميّة محكمة. الجزائر: 2013م ع14، جامعة أکلي محند أولحاج بالبويرة، ص141.
- 5- ينظر: المرجع نفسه.
- 6- ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م/1945م، دط. بيروت: 1998م، دار الغرب الإسلامي.
- 7- طيّب جاب الله، دور الطّرق الصّوفيّة والزّوايا في المجتمع الجزائري، ص148.
- 8- المرجع نفسه، ص148.
- 9- المرجع نفسه، ص149.
- 10- يسلي مقران "الدّور الديني والثقافي والسياسي للمؤسسات القرآنية في منطقة القبائل" ضمن أعمال ملتقى دور الطّريقة الرّحمانية في تعبئة وقيادة المقاومة الشعبيّة بمنطقة القبائل يومي: 15 و16 ديسمبر 2004م، مجلة ثقافيّة إسلاميّة تصدرها تنسيقية زوايا ولاية تيزي-وزو بالتعاون مع المركز الثقافي الإسلامي، فرع تيزي-وزو. الجزائر: 2014م، عدد خاص، ع1 ص27.
- 11- محمّد محمدي "المساجد والزّوايا ببجاية في حفظ الدّين والفكر الصّوفي" مجلة حوليات التّراث. جامعة سعيدة الجزائر: 2013م، ع13، ص96.
- 12- المرجع نفسه، ص97.
- 13- ترجمة الولي الصالح سيدي يحيى العيدلي، عن الموقع الإلكتروني: <http://Alborj.blogspot.com/> بتاريخ: 2016/04/02م.



14- مزيان أوستن "التواصل العلمي والفقهى بين أفراد عائلة يحيى الزواوي" ضمن أعمال الملتقى الدولي حول: العالم الصوفي يحيى الزواوي المتوفى سنة 1215م، يومي: 7 و 8 أكتوبر 2015م ببجاية وبرج بعريريج، عن الموقع الإلكتروني: [http:// www. Gehimab.org](http://www.Gehimab.org) ، ص43.

15- المرجع نفسه، ص45.

16- سعيد شريفي "زاويتا الشيخ على أويحيى والشيخ محند أمزيان البوخالفي ودورهما في الإصلاح والتعبئة الروحية" ضمن أعمال ملتقى دور الطريقة الرحمانية في تعبئة وقيادة المقاومة الشعبية بمنطقة القبائل يومي: 15 و 16 ديسمبر 2004م، مجلة ثقافية إسلامية تصدرها تنسيقية زوايا ولاية تيزي-وزو بالتعاون مع المركز الثقافي الإسلامي، فرع تيزي-وزو. الجزائر: 2014م، عدد خاص، ع1، ص96.

17- المرجع نفسه، ص97.

18- الشيخ بن يوسف النذير بن سيدي محمد "الصحة الروحية بين سيدي بلعموري بن يوسف هي السبب في تأسيس زاويتنا زاوية سيدي بلعموري"، مجلة الصراط المستقيم، الكتاب الأول، دار تديكلت، الجزائر: 2013م، ص12.